مقاصد القرآن في ضوء اختلاف القراءات القرآنية

حمزة بن علاّل:aboumina@hotmail.fr

إشراف: د/ عبد الرحمن معاشي

ملخص

يدرسُ هذَا البحث المقاصد القرآنية في ضوءِ القراءات القرآنية وفقَ تقسيمِ ابن عاشور للمقاصد، حيثُ ذكرَ أربعَ مقاصِد، تحْتَ كُلّ مقْصدٍ مثالٌ يخدمُه. وخلُصَ في الأخير إلى أنَّ المقاصدَ إذا كانت جليةً عنْدما تَلتقي القراءات، فإنَّها تمتدُّ وتتنوّعُ أيضًا عند اختلافِها. كما أنّ هذا الاختلافَ الوارد فيها لَه مَعانٍ ودلالاتٍ يُمكِن إضافتُها لمقاصدِ القرآن الكريم. وأنَّ تنوُّع هذِه المعاني تابعٌ لتنوُّع الألفاظ وبالتَّالي هُو تنوُّع في المقاصِد. ضف إلى أن هذا الاختلاف في المقاصد هُو اختلافُ تنوُّعٍ وليس تضاد، وما عَلى الباحثينَ إلا الاهتمام ببيانِ هذِه المقاصد وإخراجها لفائدةِ طُلابِ العلم، وتفعيلِ دورها عندَ تدبّر القرآنِ الكَريم.

Abtract:

This Study is dedicated to quranic purposes in the light of quranic Readings according to ibn achour 's division or categorization of purposes in which he mentioned four purposes ,each one is supported by an example .He came to a conclusion If the purposes awe clear enough when meeting with readings, they diverse too. He added that these diversity in meanings is related to the diversity of words therefore it is a diversity of meanings .He added that the diversity of meanings is not of difference but of multiplicity and that researchers should focus and shed more light on these purposes making it available and clear to students when reading Quran with meditation.

مُقدِّمة:

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الحمْدُ لله ربِ العالمين والصَّلاةُ والسَّلام عَلى خاتمِ المرسلين نبيّنا محمَّدٍ وعلى آله وأصحَابهِ أجمعين ومن تَبعهُم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين أمَّا بعدُ:

لقَدْ تسَابقَ علماءُ الإسلامِ في العنايةِ وَالاهتمامِ بكتابِ ربِّهِم وإعطائِه الأولويّةَ التي يَستحِقُّها، فَحفظُوه في الصُّدورِ والسُّطورِ، وفَسّروا آياتِه وأبْرزُوا وُجُوهَ إعجازِهِ وأسْرار بلاغته، واهتمُوا بضبطِ رسْمِهِ وتحديدِ ابتدائه ووقفِه إلى إعرابِه وشرْحِ غريبِه وَعدّ حروفه وآياته، وعلّمُوه للنّاسِ حفظاً وتجويدًا،فكانَ ذلكَ تصْديقًا لقولهِ تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُونَ** .[1]

وَكانَ مِن هَذهِ العناية والاهتمَام بيانُ المقاصِدِ التي جاءَ القرآنُ لتبيَانِها والتي تُعدُّ قَواعدَ وكُليات يُرجع إليهَا في فهمِ مُراد الله عَزّ وَجلّ، والتي جاءتْ متفاوتة حسبَ إلمامِ ومَعرفة كُلّ وَاحدٍ بأساليبِ الخطابِ ودلالتِه، وقُدرتِه أيضاً في فهم المراد منَ الآيات، فإنّ الأفهامَ تتفاوتُ في استخراج المقاصد منَ القرآن الكريمِ.

وَلماَّ كَانَ هذا الاستخراجُ مُنحصراً فيمَا اتّفقتْ عليهِ القراءاتُ القرآنية، يأتي هذاَ البحث ليلفتَ الأنظَار إلى جانبٍ قد نَدَرتْ الأقلامُ فيه، وهُو جانبُ:

اَلمقَاصِدُ القرآنيَّة في ضوءِ القراءَاتِ القرآنيَّة المتَواترة

لاَسِيمَا وأنّ عُلماءَنا يُقرُّون بسلاَمتِها، وصِحّة سَندِها إلى النّبيّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ، إضافةً إلى كَونها تُعدُّ قُرآناً أيضاً.

فإذا كانَ علماءُ المقاصدِ قَدِ اجتهدُوا في استخراجِ المقاصِد التي تَلتقي عليهَا القراءاتُ القرآنيةُ المتواترةُ، فإنّ مجَالَ الكتابةِ في القراءاتِ هُو لونٌ جديدٌ من ألوانِ مقاصدِ هذَا الكتاب، لأنَّه إذا كَانتِ المقاصدُ جليةً عنْدما تَلتقي القراءات، فإنَّها تمتدُّ وتتنوّعُ أيضًا عند اختلافِها.

انطلاقاً ممّا سبقَ، يأتي هذَا البحْث ليُبيِّنَ هَذهِ المقاصد في ضَوءِ القراءاتِ القرآنيّة المتواترةِ مِن جانبِ اختلافِها لا مِن جانبِ اتّفاقِها. وإذا كنَّا قد اتَّفقنا عَلى أنّ هذِه القِراءات وحيٌ من اللهِ، وأَنَّ كُلَّ قراءةٍ بمنزلةِ آية، تأتي إشكاليةُ البحثِ على نحو التالي:

هلْ يحملُ هذَا الاختلاف مَعانٍ ودلالاتٍ جديدةً ذاتَ شأْنٍ يُمْكن أن نُضيفَها إلى مقاصدِ القرآنِ الكريمِ؟ هل يُصاحِبُ هذا التغيير تنوُّع في المقاصِد؟ هلْ تختلفُ المقاصدُ باختلافِ القراءات؟

أسئلةٌ عديدةٌ تسعى الدِراسةُ أن تُجيبَ عنها، وذلك تحقيقا لما يلي من الأهداف:

- إدراكُ أهميّة المقاصد القرآنية في ضوءِ القراءات القرآنية.
- استجلاءُ المقاصد القرآنية وإبرازها لتكُون وسيلةً للتدبّرِ والتفكّر.
- تذوُّقُ سعة القراءات القرآنية وما تحتويه من مقاصدَ.
- التأكيدُ على أنَّ الاختلافَ الواردَ في القراءاتِ له دلالتُه ومعناه ومقاصدُه.

---

[1]- سورة الحجر: الآية 9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتتميماً للفائدةِ حول هذا الموضُوع؛ فقد قُمْتُ بالاستعانة بما رأيتُه خادِماً لأصلِ الكلاَم، من كُتبِ التفسيرِ والقراءات والمقاصد، وكُتب التوجِيه واللُّغة، مع الالتزامِ بنسبةِ الأقوالِ لأصحابِها.

أمّا المنهَجُ المتّبعُ في هذه الدراسة هُو المنهجُ الوصفيُ التحليليُ، حيثُ سأعمدُ إلى تتبّعِ الأمثلةِ القرآنية أو الكلماتِ القرآنية – محورُ البحث– وأدرسُها من خلالِ ما طرأ على اللَّفظةِ من اختلافٍ لاستخراج المقاصد المنشُودة التي تبدّتْ لنا من خلالِ التَّحلِيل والاستجلاءِ، كُلّ هذا وفقَ تقسيمِ ابن عاشور للمقاصد، حيثُ ذكرتُ أربعَ مقاصد، تحْت كلّ مقْصد مثالٌ يخدمُه. وحَسبي أن أنوّه هُنا إلى أنّ معنى المقاصِد في هذه الدِّراسة ليسَ المقصودُ بها المقاصد عندَ الأصُوليين، وإنّما هِي تلكَ المعاني الجزئيَّة التي تتفرّعُ عن المعاني الكُليّة، أو المقاصد العامة، والتي تخدُم المقصد من الآية.

خطَّةُ البحثِ: وسَيتمُّ توزيعُ البحث على وفق الخطة التالية:

مقدّمة: تتضَمَّنُ الإشكاليةَ المطروحة وأهميَّةَ الموضوعِ، والأهدافَ المرجوةَ من وراء البحثِ فيه، والمادةَ العلميَّة، والمنهجَ المتَّبع في الدّراسةِ.

تمهيد: التّعريفُ بالمصطلحات : القراءات – مقاصد القرآن.

المطلبُ الأوّل : فوائدُ اختلاف القراءات.

أوّلا – أسبابُ اختلاف القراءات القرآنية .

ثانيا – فوائدُ اختلاف القراءات.

المطلبُ الثاني: مجالات مقاصد القرآن في ضوء القراءات القرآنية.

أولا– مقاصدُ القرآن عند علماء التفسير.

ثانيا– مجالات المقاصد القرآنية في ضوء القراءات القُرآنية.

خاتمة: تتضمّنُ أهمّ النتائج التي توصّلتُ إليها في البحث.

تمهيد : التَّعريفُ بالمصطلحات.

منَ المسلَّمِ به في تقديمِ أيِّ بحثٍ علميٍ معرفةُ المصطلحَاتِ العِلميّة، لأنَّ تحديدَها وبيانَ مفهُومِها، أَساسٌ يُبنى عليه مَا يتبعُه من خُطوات في البَحث.

وَلمَّا كانَ مَوضوعُ هَذا البَحث مُتعلقاً بالقراءاتِ القرآنية وَمقاصدِ القرآن، كَانَ لزاماً علَيْنا أن نتعرَّفَ على ما يلي: القراءاتُ لغةً واصطلاحاً، والمقاصدُ في اللغة والاصطلاحِ.

أوّلا– القراءات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- **القراءاتُ في اللغة:**

القراءات: جمع مفردها قراءة، ومادة (ق.ر.أ) يدورُ معناها في لسان العربِ حَول معنى الجمْع والاجتماعِ، فكلُّ شَيءٍ جمعته فقَد قرأته. ومعنى قرأتُ القرآن: لفظتُ به مجموعًا أي ألقيتُه. [2]

والقِراءة من قرأَ يقرأُ قرآنا، يقال اقترأت في الشِّعر وأقرأته أنا وأقرأ غيره يقرئه إقراء، ومنه قيل فلان المقرئ. قال سِيبويه:((قرأ وأقرأ بمعنى بمنزلة علا قرنه واستعلاه، واستقرأه بمعنى طلب إليه أن يقرأ)). [3]

وفي الجُملة فإنَّ القراءة تدورُ لغةً حوْل عدَّة مَعانٍ هي: الجَمعُ والضمُّ، والإلقاءُ.

ب-**القراءاتُ في الاصطلاح**: لها عدَّةُ تعاريف أوْردَها العُلماءُ، سَأقتصرُ على تَعريفين أراهُما جامعيْن مانعيْن هُما:

1- تعريف ابن الجزري(ت833هـ):((القِراءاتُ علمٌ بكيفيةِ أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو النّاقلة)). [4]

2- تعريف شهاب الدين القسطلاني(923هـ):((هُو علمٌ يُعرف منْه اتّفاقُ النّاقلين لكتاب الله، واختلافهم في اللُّغة والإعراب والحَذف والإثبات، والتَّحريك والإسْكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيثُ السماع)).

أو يُقال: ((علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها، معزواً لناقله)) [5].

ثانيا : المقاصد

أ- **المقاصدُ في اللغة:**

جمعُ مقصد، مشتقٌ من الفعل قصَد يقصِد قصداً، فهو قاصد. وقوله تعالى:**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ** [6] أيْ عَلى الله تَبيين الطَّريق المستقيم والدُّعاء إليه، وطريقٌ قاصدٌ سهلٌ مستقيم.وأصْل (ق ص د) ومواقعها في كلام العربِ الاعتزامُ والتوجُّه والنُّهود والنُّهوض نحوَ الشيء على اعتدالٍ كانَ ذلك أو جَور، هذا أصلُه في الحقيقة، وإن كان قدْ يُخصّ في بعض المواضع بقصدِ الاستقامة دُون الميل، ألاَ ترى أنّك تقصِد الجور تارةً كما

---

[2]- ابن منظور: لسان العرب، مادة قرأ، الجزء الثاني عشر، الطبعة الرابعة، دار صادر، بيروت– لبنان، 1426هـ /2005م، ص50.

[3]- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي شيري، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت_ لبنان 1414هـ1994م، ص218.

[4]- ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ /1999م، ص 9.

[5]- القسطلاني: لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين، الجزء الأول، طبعة القاهرة، 1492هـ / 1972م، ص 170.

[6]- سورة النحل: الآية 9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقصدُ العدل أخرى[7]. فأصْل العقد هو العزمُ و التوجُّه نحوَ الشيء، ثمَّ نُقل معناهُ لاستعمالاتٍ أُخرى أهمُّها: الاستقامةُ والاعتدالُوالانكسارُ وغيرُ ذلك.

ب-**المقاصدُ في الاصطلاح**: هُناك عدّةُ تعريفات أوْردها العلماء سأقْتصر على تعريفين هُما:

1-تعريف محمد الطاهر ابن عاشور: ((مقاصدُ التشريع العامة هي: المعَاني والحكم الملحُوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة))[8].

2- **تعريف يوسف القرضاوي**: ((الغايات التي تهدِف إليها النُّصوص من الأوامرِ والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلَّفين، أفراداً وأُسراً وجماعات وأمّةً))[9].

أمّا مقاصدُ القُرآن، فهي أخصُّ من مقاصدَ الشَّريعة، وتعريفُها باعتبارها لقباً على علم مُعيَّن؛ إنّما يُراد بها: ((الغاياتُ التي أُنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالحِ العباد))[10]، فالغاياتُ المراد منها المعاني والحكم المقصُودة من إنزال القرآن، وهي تهدفُ إلى تحقيقِ مصالحِ العباد في العاجلِ والآجلِ [11].

المطلبُ الأوّل : فوائدُ اختلاف القراءات.

إنّ الاختلافَ الواردُ في القراءاتِ لاَ يقومُ على اجتهادِ الأشخاصِ ووجهات أنظارِهم، فلاَ مجالَ للاجتهاد والاختراعِ، وإنَّمَا القراءةُ سُنَّةٌ متَّبعة يأْخُذها الآخِر عن الأوَّل، ولما كَان هذَا الاختلافُ مُحالٌ في كلام الله، فما هُو السَّبب في الاختلافِ إذَن؟

أوّلا- أسبابُ اختلاف القراءات القرآنية

تَكلَّمَ ابن الجَزري (ت833هـ):في كتابِه الشهير «النَّشرُ في القراءات العشر» عَن اختلافِ القراءات القُرآنية بأنَّ هَذا الاختلاف هُو: ((اختلافُ تنوُّعٍ وتغايرٍ لا اختلافَ تضادٍ وتناقضٍ، فإنَّ هذا مُحالٌ في كلامِ اللهِ))[12].

ويُوضّحُ هذه المسألةَ مَكّي بن أبي طَالب القيسي(ت437هـ) في كتابِه الشهير « الإبانة » حيثُ قال:((فإنْ سألَ سائلٌ فقال: مَا السَّببُ الذي أوجَب أن تختلفَ القراءةُ فيما يحتمله خط المصحف.... ، فالجوابُ عن ذلك

---

[7]- ابن منظور: المصدر السابق، ص 113- 114. الزبيدي: المصدر السابق، ج5، ص 189.

[8]- ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، الطبعة الرابعة، دار السلام، القاهرة، مصر، 1430هـ -2009م، ص 55.

[9]- يوسف القرضاوي:دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، الطبعة الثالثة، دار الشروق، مصر، 2007م، ص20.

[10]- عبد الكريم حامدي: مقاصد القرآن من تشريع الأحكام ،الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1429هـ-2008م، ص 29.

[11]- المرجع نفسه .، 29.

[12]- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تصحيح: علي محمد الضباع، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص 49.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنَّ الصحابة _رضي الله تعالى عنهم _ كانَ قد تعارف بينهُم من عهدِ النَّبيِّصلَّى الله عليه وَسلّمتركُ الإنكارِ على من خالفت قراءته قراءة الآخر ....ولما مات النَّبيِّصلَّى الله عليه وَسلّمخرجَ جماعةٌ من الصَّحابة في أيَّامِ أبي بكر وعُمر إلى ما افتتح من الأمصار، ليُعلِّمُوا النَّاس القرآن والدّين، فعلَّم كلُّ واحدٍ منهم أهْل مصره على ما كان يَقرأُ على عهد النَّبيِّصلَّى الله عليه وسلّم، فاختلفتْ قراءةُ أهل الأمصارِ على نحو ما اختلفتْ قراءةُ الصحابة الذين علّمُوهم))[13].

ويُواصلُ حديثَه فيَقولُ:((فلمَّا كتبَ عُثمان المصاحِفَ، ووجّهَها إلى الأمصارِ، وحملهُم على ما فيها وأمَرهم بتركِ ما خالفها، قرأَ أهل كلُّ مِصر مصحَفهم الذي وُجّه إليهم على ما كَانوا يقرؤُون قبل وصول المصحف إليهِم ممّا يُوافق خطَّ المصحف، وتركُوا من قراءاتهم التي كانوا عليها ممَّا يُخالف خطَّ المصحف)).

ثم بيَّن بعدَ ذلك كيف انتقلت تلكَ القراءات للقرَّاء الذين اشتهرت قِراءاتُهم، فقال:((ونقل ذلك الآخر عن الأوَّل في كلّ مصر، فاختلف النّقلُ لذلك، حَتى وصَل النّقلُ إلى هؤلاءِ الأئمّةِ السّبعة على ذلك، فاختلفُوا فيما نقلوا على حسبِ اختلاف أهْل الأمصار))[14].

ثمَّ من التَّوضيح بمكانٍ أنَّ هؤلاءِ القرَّاء قرؤوا على أشخاصٍ متعدِّدين، وبينهُم اختلافٌ في القراءة، فأخذُوا من قراءاتهم، وتَركوا بعضاً منها، فنافعٌ قرأَ على سبعين من التَّابعين، فما اجتمع عليه اثنان أخذَه، وما شكَّ فيه واحدٌ تركه، وأبُو عمرو قرأ على ابن كثير وخالفَه في أكثرِ من ثلاثة آلاف حَرف[15].

ثانيا – فوائدُ اختلاف القراءات.

قَدْ تقرّرَ أَنّ تعدّدَ القراءاتِ بمنزلةِ تعدُّدِ الآيات وأنّ القراءات أبْعاضُ القرآن، وفي هذا السِّياق قَال السّيوطي(ت911هـ) في كتابه «الإكليل»:((إنَّ تَعدّدَ القراءاتِ بمنزلةِ تعدُّدِ الآياتِ))[16]، كما أشار الزركشي(ت794هـ) في «البرهان» إلى اختلاف الأحكامِ الشرعيَّة باختلافِ القراءات. [17]ولاختلافِ القراءاتِ القرآنيَّة فَوائدٌ منْها[18]:

---

[13]– مكي: الإبانة عن معاني القراءات، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ص 49.

[14]– مكي: المصدر نفسه، ص 46–49.

[15]– المصدر نفسه، ص 49.

[16]– السيوطي: الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت 140هـ 1981م، ص 109.

[17]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ–2006م، ص 229.

[18]– ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، 1429هـ _ 2008م، ص 227. ود. محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة سنة 1406هـ–1986م، ص 37–39. والزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: د. أحمد المعصراوي، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار السلام، مصر،1431هـ–2010م، ص 121–123. ابن الجزري: المصدر السابق، ص 52–53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- التَّسهيلُ والتَّخفيفُ على الأمّةِ ورفعِ الحرجِ عنهُم، فقدْ كان المسلمُون الأوائل على اختلافٍ واضحٍ في اللَّهجات والأصْوات وطريقةِ الأداءِ، وكانَ يَصْعبُ على الواحد منهُم تجاوزُ لهجتِه والانتقال إلى غيرها، فكان هذا التَّسهيل الذي يَدخلُ حيّز القراءات التي لا تعلُّقَ لها بالتفسير ومعاني الألفاظِ، وإنَّما تتَّصل بوجوهِ النّطق بالحروفِ والأداءِ اللَّفظي للكلمَات.

2- مع كثرةِ الاختلافِ الوارد في وجوهِ القراءات في جانبِ اللَّفظ والمعْنى، لم يَتطرَّق إلى كتابِ الله تضادٌ أو تناقضٌ، بل كلّه يُصَدّق بعضه بعضاً، ويُوضِّحُ بعضه بعضًا، وفي ذلك دليلٌ قاطعٌ على صدق رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في تبليغِه القرآن كما أُنزل إليه، إذْ ليس في مُكنة أحدٍ أن يأتي ببيَان على شاكلة البيان القرآني.

3- إنَّ أوجهَ البلاغةِ، والبيانِ، والإعجازِ، والإيجاز الموجودة في القراءات يُعدّ من كمالِ الإعجاز، إذ كلُّ قراءةٍ بمنزلةِ آية مُستقلَّة، فكانَ تنوعُ اللَّفظ بكلمة يقومُ مقام آياتٍ، ولا يخفى أنَّ تنوُّع المعَاني تابعٌ لتنوُّع الألفاظ، ولو جعلَ الله كلَّ قراءةٍ تُخالفُ الأخرى آية مستقلَّة لكانَ في ذلك من التَّطويل ما يتعارضُ مع جمال الإيجاز وبقاءِ الإعْجاز.

4- إنّ في تعدّدِ القراءاتِ وتنوّعِها تيسيرًا لحفظه ونقله على هذه الأمَّة، فإنّه من يحفَظ آيةً واحدةً في كلماتها أوجهٌ متعدّدة يجدُ من اليُسر والسُّهولة ما لا يجِده لو كان كلُّ وجه في آية مستقلَّة.

5- ومن الفوائد إعظامُ أجورِ هذه الأمّة من حيثُ إنّهم يفرغون جُهدهم ليبلغُوا قصْدهُم في تتبعِ معاني ذلك واستنباط الحِكم والأحكام من دلالة كلِّ لفظٍ واستخراجِ كمينِ أسراره وخَفي إشاراته، وإمعانهم الكشفَ عن التَّوجيه والتعليل والتَّرجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمِهم، ويصل إليه نهاية فهمهِم**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ**[19] والأجرُ على قدْر المشقَّة[20].

6- بيانُ فضلِ هذه الأمَّة وشرفِها على سائر الأمَم، يتجلَّى ذلك في أنَّ جميعَ الكتب السَّماويَّة حُرِّفت فلم يبقَ لها نصوصٌ صحيحة، ولم يتكفّل الله بحفظ أحدٍ منها، عكسَ القرآن الكريم ويبدُوا ذلك جليًا من خلال عناية الأمَّة الفائقة به، وإقبالهِم عليه، وحرصِهم على نقله مسنداً عن الثقات إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم.

7- إنَّ تنوُّعَ القراءاتِ يُفيد أهلَ العلم بعد الاطلاع على الصّحيح منها على استيعاب دلالة الألفاظ القرآنية، واستنباطِ ما ترمي إليْه من مقاصدَ وفوائد، فمثلاً بعضُ الألفاظ تأتي على سبيل الإجمال في قراءة، ثمَّ يفصِّل هذا الإجمال في قراءة ثانية، أو تجمَعُ بين حُكمين مختلفين، أو تدلُّ على حُكمين شرعيين، أو تدفَع توهُم ما ليس مرادًا، أو تُبيِّن لفظاً مُبهماً[21].

المطلبُ الثاني: مجالات مقاصد القرآن في ضوء القراءات القرآنية.

---

[19]- سورة ءال عمران: الآية 195.

[20]- ابن الجزري: المصدر السابق، ص 53 .

[21]- لمعرفة تفاصيل هذه الفائدة ينظر: الزرقاني: المصدر السابق، ص 122-123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا– مقاصد ُ القرآنِ عند علماء التفسير.

لقدْ تكفّلَ عَددٌ من العلماءِ– خاصّة المفسّرين–باستقصاءِ مقاصد القرآن واستقراءِ دلالتها الكليَّة، وفي ما يلي نبذٌ ممّا توصَّلوا إليه في هذا الباب:

يُعتبر العلاّمة مُحَمَّد رشيد رضا أوّل من توسّعَ في استقصاءِ مقاصد القرآن الكريم، فقَد عقدَ لذلك فصلاً في نحوِ سبعينَ صفحة، وذلك في الجزء الحادي عشر من تفسيرِ المنار، ونظراً إلى طولِه سأقتصرُ على ذكر المقاصدِ دُون شرْحها.

قَال رحمه الله:((مقاصدُ القرآن في ترقية نوعِ الإنسان وماضيهِ من التكرارِ:

النَّوعُ الأول من مقاصده: الإصلاحُ الديني لأركان الدّين الثلاثة:

الرُّكن الأوّل للدّين الإيمان بالله تعالى.

الرّكن الثاني من أركان الدّين عقيدة البعث والجزاء.

الرُّكن الثالث للدّين العمل الصالح.

المقصدُ الثاني من مقاصد القرآن: بيانُ ما جهِل البشر من أمر النُّبوّة والرسالة ووظائف الرُّسل.

المقصدُ الثالث من مقاصد القرآن:بيانُ أنّ الإسلامَ دينُ الفطرة السليمة، والعقلِ والفكر، والعلم، والحكمة، والبرهان والحجَّة، والضمير والوجدان، والحرية والاستقلال.

المقصدُ الرَّابع من مقاصد القرآن: الإصلاحُ الاجتماعي الإنساني والسياسي الذي يتحقَّق بالوحدات الثمان: وحدةُ الأمَّة، وحدةُ الجنس البشري، وحدة الدين، وحدةُ التشريع بالمساواة في العدل، وحدةُ الأخوَّة الروحية والمساواة في التعبد، وحدة الجنسية السياسية الدولية، وحدة القضاء، وحدة اللُّغة.

المقصدُ الخامس من مقاصد القرآن: تقريرُ مزايا الإسلام في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظُورات.

المقصدُالسادس من مقاصد القرآن: بيانُ حُكم الإسلام السياسي الدولي: نوعه وأساسه وأصوله العامة.

المقصدُالسابع من فقه القرآن: الإرشادُ إلى الإصلاح المالي.

المقصدُالثامن من فقه القرآن: إصلاحُ نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على ما فيه الخير للبشر.

المقصدُالتاسع من فقه القرآن: إعطاءُ النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

المقصدُ العاشر من فقه القرآن: تحرير الرقبة))[22].

في حين لخّصَ ابن عاشور في مقدّمة تفسيرِهِ مقاصدُ القرآن الأصليَّة التي جاءَ لتبيانها بحسب ما بلغَ إليه استقراؤُه إلى ثمانية أمور، هيَ:

الأوّل: إصلاحُ الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.

---

[22]– ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، تحقيق وتعليق: فؤاد سراج عبد الغفار، الجزء الحادي عشر، المكتبة التوفيقية، مصر، ص 176-244.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني: تهذيبُ الأخلاق.

الثالث: التشريعُ وهو الأحكام خاصة وعامّة.

الرابع: سياسةُ الأمّة وهو بابٌ عظيم في القرآن القصد منه صلاحُ الأمّة وحفظُ نظامها .

الخامس: القصصُ وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم قال.وللتحذير من مساويهم .

السادس: التعليمُ بما يُناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهّلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها.

السابع: المواعظُ والإنذار والتحذير والتبشير.

الثامن: الإعجازُ بالقرآن ليكون آيةً دالةً على صدق الرّسول صلّى الله عليه وسلّم[23].

وبيّن غرضَ المفسّر في قولِه: ((فغرضُ المفسِّر بيانُ ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه، بأتمِّ بيان يحتملُه المعنى ولا يأباه اللَّفظ من كلّ ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقّفُ عليه فهمُه أكملَ فهم، أو يخدُم المقصد تفصيلاً وتفريعًا))[24].

أمّا الشيخُ الغزالي فقدْ ذهَبَ إلى أنّ: ((القرآنُ الكريم مع استفاضةِ معانيه، وكثرةِ سوره، يمكن القَول بأنّه يدورُ على محاور خمسةٍ، وَهي: اللهُ الواحد، والكونُ الدّال على خالقه، والقصصُ القرآني، والبعثُ والجزاء، والتربية والتشريع... هذه هي المحاور الخمسة التي أفاض القرآن في ذكرها))[25].

وفي هذا المقام يُفصّلُ الدكتور أحمد الريسوني في حديثه عن المقاصد العامة للقرآن الكريم مؤكِدًا أنّ معرفتَها وتحقيقَها هي الفائدةُ الكبرى للقرآن الكريم، وذكُر أنّ من أهمّ ما يُستفاد من معرفتها أنّها المدخلُ السَّليم إلى فهم الرسالة القرآنية الإسلاميَّة على وجهها الصَّحيح، كما أنّ استحضارها عند قراءة القرآن وتدبُّره تمكّن قارئه من الفهم السَّليم للمعاني التفصيليَّة والمقاصد الخاصَّة لأمثاله وقصصه ووعده ووعيده. وبمعرفتنا لها يتسدّدُ فهمنا لمقاصد السنَّة النبوية جملةً وتفصيلاً، ومن خلالِ ذلك يتسدّدُ النَّظر الفقهي والاجتهاد الفقهي.

كما أنّها تُعدُّ الميزان والمعيار الذي يجب أن نزنَ به أعمالنا الفرديَّة والجماعية وحياتنا الخاصّة والعامة، فكلّ عَملٍ لا يهتدي بمقاصد القرآن فهو حائدٌ عن هدي القرآن. ويختم بالقول أنّ مقاصدَ القرآن هي الميزانُ والمعيار الذي لابدّ منه للمفسّرين في مناهجهِم وتفسيراتهم؛ فبمعرفتها ومراعاتها يضمَن المفسِّر لنفسِه ولتفسيرِه أن تكُون اهتماماتُه ومقاصِده واستنباطَاته في نطاقِ مقاصدِ القرآنِ[26].

ثانيا– مجالات المقاصد القرآنية في ضوء القراءات القرآنية.

---

[23]– ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الجزء الأول، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص40-41.

[24]– المصدر نفسه، ص 41.

[25]– محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، طبعة دار الشروق، ص 18.

[26]– أحمد الريسوني: مقاصد المقاصد، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013، ص 27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجالُ الأوَّل : مقاصدُ العقيدة

من مقاصِد القرآن الكريم إصلاحُ الاعتقادِ والدَّعوة إلى معرفةِ الله، حيثُ قَرّر القرآنُ العقيدةَ في أساسيَّاتها أنَّ الله تبَارك وتعَالى هُو الإلهُ الواحد، و استدَلّ على ذلك بأدلّةٍ وبراهينَ، وأرْسل الرُّسل ليدعُوا أقوامَهم إلى الإيمانِ بالله وتركَ ما هُم عليهِ من عبادةِ غيرِه. ومِن بيْن الأدلَّة الدّالة على توحيدِه عزّ وجلّ مخاطبتُه للمشركين في سورةِ البقرة عنْدَما قال:﴿**أَوَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾[1] حيثُ بيّن اللهُ سبحانه وتعالى حال المشركينَ من اتّخاذهِم الأندادَ من دون الله معَ حُبّهم لهُم كحبِّ المؤْمنين لله، وأنّهُم لو يعلمُ هؤلاءِ الذين ظلمُوا باتِّخاذِهم المذكور رؤيتهُم العذابَ لعلمُوا أنّ الحكْم له وحدَه لا شريك لَه، وأنّ جميعَ الأشياء تحْت قُدرته تعالى، وأنّ القوّة لَه وحدَه دون الأندادِ والآلهة، وأنّه شديدُ العذابِ. قال تعالى:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّتَخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُّحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الذِينَ ءَامَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾[28].

وَقد اختلفَ القُرّاء[29] في كلمةِ«يرى»، فقَرأ نافع وابنُ عامر بالتاءِ، وقرأ الباقونَ بالياءِ[30].فمَا هي المقاصد التي نَستوحيهَا من القراءتين؟

إنّ الخطابَ الموجّه في الآية في وَجهِ من قَرأ بالتاءِ يَحْتملُ أن يكونَ الخطابُ فيهِ للنّبيّ صلَّى الله عليْه وسلّم وهُو الأقْوى، لأنّ عليهِ نزلَ القرآن، فهُو المخاطَب به، ويُقوّي ذلك قولُه تعالى:﴿**أَوَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ**﴾[31] أيضاً قولُه تعالى:﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَى الَّذِينَ كَفَرُواً**﴾[3] فجرَى هذا على نظائِره[33].

ويرَى ابن أبي مريم وأبو منصور أنّه عليهِ السّلاَم لم يُقصد بالمخاطبة، لأنّهُ كانَ عالماً بحالِ ما يصيرُ إليه الظّالمينَ، ولكِن في قصدِه بالمخاطبة تَنبيهٌ لغيرِه، وخِطابُ الله له خِطابٌ للكافّة[34].كما يرى الألوسي بأنّ الخطابَ يصلُح لِكلّ أحدٍ ممّن يصلحُ للخطابِ[35].

---

[1] – سورة البقرة: الآية 165.

[28] – سورة البقرة: الآية 165.ينظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة و المنهج، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1411هـ-1991م ، ص 69.

[29] – لمعرفة تراجم القراء ينظر: كتاب معرفة القرّاء الكبار للذهبي، وكتاب غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري.

[30] – ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة، مصر، ص 173. ابن الباذش: الإقناع في القراءات السبع، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الفكر دمشق، 1403هـ ، ص 605.

[31] –سورة الأنعام : الآية 27.

[3] – سورة الأنفال: الآية 50.

[33] – مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، الجزء الأول، دار الحديث، القاهرة ، 1428هـ-2007م ، ص322.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَقولُ الشيخ ابن عاشور: ((وهُو خطابٌ لغيرِ معين يَعمّ كلّ من يسمعُ هذا الخطاب، وذلك لتناهي حالهِم في الفظاعة والسُّوء، حتّى لو حضرَها النّاس لظهرت لجميعهِم))[36].

ويتحدّثُ عن الرُّؤية فيقولُ:((والرُّؤية بَصريةٌ في الأوّل والثاني لتعلّقها في الموضعينِ بالمرئيات، ولأنّ ذلك موْرد المعنى، إلا أنّ وقت الرؤيتين مختلف، إذ المعنى لو تراهُم الآن حينَ يروْن العذَاب يومَ القيامة، أي لو ترى الآنَ حالهم))[37]، فالذين ظلمُوا مفعول «ترى»على المعنيَين،[38] كما يجوزُ أن يكونَ الخطابُ للظّالمين، والتّقدير:«قُل يا محمد للظالم: لو ترى الذين ظلمُوا».[39] فتتّفق مع القراءة الموالية.

ممّا تقدّمَ يتبيّنُ لنا أنّ المقصودَ بالخطابِ في هذه القراءة النّبيُّ صلَّى الله عليْه وسلّم،أو لِكلّ أحدٍ ممّن يَصلح للخطاب، أو للظّالمين، فتجتمعُ ثلاثُ مقاصد قصَدها اللهُ عزَّ وجلَّ في خطابِه، كما أنّ معنى الرُّؤية في هذه القراءة لا تكونُ إلاَّ من رُؤية العين. فما المقصدُ الذي تحملهُ القراءة الأخْرى؟ومن هو المخاطَب؟

أمّا وجْهُ مَن قرأَ بالياء، فهُو من رؤيةِ العين أيضاً و«الذين ظلموا» فاعل «يرى»«وأنّ القوة» مفعول «يرى» وجواب «لو» محذوف[40]. وفعلُ الرُّؤية في هذه القراءة مسندٌ إلى الذين ظلمُوا، فهُم المخاطبُون؛ لأنّهُم لم يعلموا قدْر ما يَصيرُون إليه من العذابِ كما علِمهُ النّبيُّ صلَّى الله عليه وسلّم والمؤمنُون، فهُم أوْلى أن يُسندَ إليهمُ الفِعل، وأيضًا فقدْ تمّ قبله لفظُ الغيبةِ في قوله:**ﱹوَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًاﱸ** بعد قوله:**ﱹ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**

---

[34] – ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، الجزء الأول، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي، 1408هـ، ص 308. أبومنصور الأزهري: معاني القراءات، تحقيق: د.عيد مصطفى درويش ود. عوض بن حمد القوزي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 1412هـ- 1991م، ص 187.

[35] – الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 35.

[36] – ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص 93.

[37] – المصدر نفسه، ص 93.

[38] – المصدر نفسه، ص 93.

[39] – مكي: المصدر السابق، ص 323.

[40] –المهدوي: شرح الهداية، تحقيق ودراسة: د. حازم سعيد حيدر، الجزء الثاني، مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ، ص 187.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ [41] والكافرُون هم الظالمونَ، والذينَ كفرُوا هُم الذينَ اتّخَذُوا من دُون الله أندادًا[42]. ويجُوز أن تكون «يرى» بمعنى العلم الذي يَتعدّى إلى مفعولين فتكُون «أنّ»قد سدّتْ مسدّ المفعُولين[43].

نخلصُ ممّا سبقَ أنّ مقاصدَ الآيةِ من خلالِ هذهِ القراءة «يرى» هي:أنّ الخطابَ موجّهٌ للظالمينَ فقط، أمّا الرُّؤية فهِي من رؤية العينِ أيْضًا، وأُسندت لهُم دون غيرِهم، كما يجُوز أن تكونَ« يرى» بمعنى العلم، أيْ لو يعلَم الذينَ ظلمُوا.

ومنْ هنَا يتبيّنُ لنَا أنّ الفرْقَ بينَ القراءتينِ في المخاطب، وفي وقتِ الرُّؤية ومعْناها، فقِراءةُ التاء خاطبتِ النَّبيّ صلَّى الله عليْه وسلّم، أو كُلّ من يصلحُ للخطابِ، ومعنى الرُّؤية فيها رؤيةٌ بصرية، وقراءةُ الياء خاطبتِ الظَّالمين كمَا أنّ الرُّؤيةَ فيها رؤيةٌ بصرية أو بمعنى العلْم.

وَهَكَذا أفادتْ هاتانِ القراءتَان على اختلافِهما معانٍ عديدة، كُلّ معنى لَه دلالتُه المنشودَة التي تُحقِّق جانبًا من حالِ المشركينَ عنْدما يروْن العذاب فيَعلمُون أنّ القُوَّة لله جميعًا دُون الأندادِ والآلهة، فوَجب توحيدُه قبْل أنْ يذوقُوا العذابَ. وَكلّ هذِه المعَاني في القراءتين مِن مقاصدِ الآية.أليستْ كُلّ قراءةٍ بمنزلةِ آيةٍ .

المجالُ الثاني: مقاصدُ الأحكام

مِن مقاصد القرآن الكريم بيانُ الأحكامِ الشرعيَّة التي يحتاجُها النَّاس في عبادتِهم لله عزّ وجلّ، كيْ يعبدُوه ويمتثلُوا أمرَه محبّةً وتعظيمًا له، ومِن بين هذِه الأحكام قولُه تعالى:**أَوَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** [44] حيثُ بيّنَ اللهُ عزّ وجلّ في هذه الآيةِ الذِين يُطيقون الصّيامَ جزاءُ طعامُ مسكين لِكلّ يومٍ أفطرَه من أيّام صيامِه الذي فرضهُ عليه.

وَقدِ اختلفَ القرّاءُ في قراءة «مساكين» ، فقَرأَ نافع وابن عامر بالجمع، وقرَأ الباقُون بالتَّوْحيد[45].فما المقصدُ الذي نَستوْحيه من القراءتين ؟ ومَا هي الأحكامُ التي نستخلصُها من خلالِ هذا الاختلاف؟

---

(41)– سورة البقرة: الآية 161.

(42)– ينظر: الرازي: التفسير الكبير، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران، ص 208. الفارسي: الحجّة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي و بشير جويجابي، الجزء الثاني ، دار المأمون للتراث، دمشق– بيروت ، ص 262 . مكي: المصدر السابق، ص 323.

(43)– المهدوي: المصدر السابق، ص 187.

(44)– سورة البقرة: الآية 184.

(45)– أبو عمر الداني: التيسير في القراءات السبع، عني بتصحيحه: اوتورتزل، طبعة ثانية، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، سنة 1404هـ–1984م، ص79. ابن الباذش: المصدر السابق، ص 607.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجهُ من قرأ بالجمعِ أنّهُ ردّه على مَا قبله في قوله:﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ**﴾لأنّهُ من مقابلة الجَمع بالجمع [46]، ولأنّ الذينَ يُطيقونَه جماعَة[47].فكُلّ واحدٍ يُلزمُه إذا أفطرَ طعامُ مسكين، فالذي يُلزم جميعُهم إذا أفطرُوا إطعامُ مساكينَ كثيرة، على كُلّ واحدٍ عن كلّ يومٍ أفطره مِسكين[48].

ووجْهُ من قرأ بالتّوحيدِ فعلَى معنى أنّ كُلّ واحدٍ من الذين يُطيقونَه فديةُ طعام مسكين[49]،كما أنّ الواحدَ النّكرة يدلُّ على الجمْع، فاستغني به عن لفظِ الجمع، وأيضًا فإنّه ردَّه على الفدية، فوحَّد كما وُحّدَت الفِدية[50].

كمَا أنّ البيانَ على الحُكم الواحد في ذلك، البيانُ عن حُكْم جميع أيّامِ الشهر، وليس في البيانِ عن حكمِ إفطار جميعِ الشهر البيانُ عن حكمِ إفطارِ اليومِ الواحد[51].

يقولُ الطَّبري في تفسيره: ((وأعجبُ القراءتين إليّ في ذلك قراءةُ من قرأ طعامُ مسكين على الواحد، بمعنى: وعلى الذين يُطيقونه عن كلّ يوم أفطرُوه فديةُ طعام مسكين، لأنّ في إبانةِ حكم المفطر يومًا واحدا وصولاً إلى معرفةِ حكم المفطر جميع الشَّهر، وليس في إبانةِ حُكم المفطر جميع الشهر وصول إلى إبانة حُكم المفطر يومًا واحدًا وأيّامًا هي أقلّ من أيّام جميع الشَّهر، وأنّ كلّ واحدٍ يُترجم عن الجميع وأنّ الجميعَ لا يُترجم به عن الواحد، فلذلك اخترنا قراءة ذلك بالتّوحِيد))[52].وباختيارِ الطبري لقراءة التوحيد يكونُ قد اختارَ مقصدا من مقاصدِ هذه الآية.

ممّا تقدّمَ يتبيّنُ لنا أنّ المقصدَ من هذه القراءةِ أنّها أفادتِ الحُكم على كلّ من أفطرَ يومًا، أمّا قراءةُ الجمع فمُبهمةٌ، أُخبر فيها أنّ الجماعَة إذا أفطرُوا عليهم إطعامُ مساكين، فلا يدْري ما على كلّ واحدٍ أفطر يومًا. وبذلك تكونُ قراءةُ التّوحيدِ مبيّنةً لمقصد قراءة الجمع ومكمّلةً لها، وبالتّالي يتحقّقُ المقصدُ في اختلاف اللّفظةِ الواحدة.

المجال الثالث: مقاصد تقويم الفكر

يُعتبرُ هذَا المقصد من مقاصد القرآن الكريم، وقدْ أشارَ إليه كُلٌّ من الشيخ رشيد رضا وابن عاشُور عندَما تكلّمُوا عن مقاصدِ القرآن، وقدِ اعتنى القُرآن الكريم بهذا المقْصد في عدّةِ مواطنَ،ودعا كُلّ من يعتقدُ شيئاً أو يدَّعي شيئاً أن يُقدّمَ على ذلك حُجّته ودليله؛ لأنّ الحِكمة تستلزِمُ أن يكُون الفِكر قائمًا على علمٍ ودليلٍ. وَمن بينِ هذِه المواطن مَا ذكرَه اللهُ في سورة الأنعام عنْدما علّمَ إبراهيمَ عليهِ السَّلام وآتَاه كلّ أنواعِ الحجج العقليَّة،

---

[46]– ابن عاشور: المصدر السابق، ص 167. الألوسي: المصدر السابق، ج2، ص 59.

[47]– المهدوي: المصدر السابق، ص 191.

[48]– مكي: المصدر السابق، ص 332.

[49]– المهدوي: المصدر السابق، ص 191. ابن أبي مريم: المصدر السابق، ص 316.

[50]– مكي: المصدر السابق، ص 332.

[51]–ابن زنجلة: حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ-1997م، ص 124.

[52]– الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجزء الثاني، دار الفكر، بيروت 1408هـ-1988م ، ص 142.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليُقنِع بها قومَه، ويُبطلَ مزاعمهم وشبهاتهم، ولقدْ وُفّق في ذلك، فأنْعم الله عليه أن رَفع درجتَه بسبب ما آتاه من الحُجّة؛ فهُو الحكيمُ في فعله وصُنعه ويَرفع درجاتِ من يشاء بمُقتضى الحِكمة والعِلم[53]، فقال: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾[54].

وقدِ اختلفَ القراء في لفظةِ«درجات»فقرأها الكوفيُون بالتَّنوين وقرأها الباقون بغير تنوين[55].فما هو مرادُ الله من هاتين القراءتين؟

يَقولُ ابن عاشور في معنى﴿ **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ** ﴾ ((ورفعُ الدّرجات تمثيلٌ لتفضيل الشّأن، شبّهت حالةُ المفضّل على غيره بحال المرتقي في سُلّم إذا ارتفعَ من درجة إلى درجة، وفي جميعها رفعٌ، وكلّ أجزاء هذا التّمثيل صالحٌ لاعتبار تفريق التّشبيه، فالتَّفضيل يُشبه الرّفع، والفضَائل المتفاوتة تُشبه الدّرجات، ووجه الشبَه عزّةُ حصول ذلك لغالبِ النّاس))[56].

أفادتْ هذِه القراءة أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوْقع الرّفعَ على أصحابِ الدّرجات لا على الدّرجات، والتّقديرُ: «نرفعُ من نشاءُ درجات »، فالفِعل واقعٌ على «من» التي هي لأهْل الدّرجات[57]، فهُو كقوله: ﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾[58]. فالمرفوعُ هنا هو الإنسان وحجَّتُهم في ذلكَ أنّ اللهَ قد بيّنَ هذا المعنى في غير موضع منَ القرآن. قال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[59].

وَجّه الرّازي هذه القراءة إلى مَعنى: ((نرفع من نشاءُ درجاتٍ كثيرة))[60]و يؤيّدُه في ذلك قوْلُ أبي عمرو حينما قَال: ((التَّنوينُ لا يدلّ إلاّ على الدّرجاتِ الكثيرة))[61]. وعلى معنى ابن عاشور السَّابق تأتي هذه القراءة موافقةً له إذ هيَ أدلّ على تفضيل بعضهم على بعضٍ في المنزلةِ والرِّفعة إذ هي تشبّه حال المفضّل على غيره، فالتَّفضيلُ يشبه الرّفع، والفضائل المتفاوتة بينهُم تُشبه الدّرجات لأنَّها كحال المرتقي في السّلم الذي درجاتُه كثيرة.

---

[53]- ينظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج7، ص 274.

[54]- سورة الأنعام: الآية 83.

[55]- ابن مجاهد: المصدر السابق، ص 261 . أبو عمر الداني: المصدر السابق، ص 104

[56]- ابن عاشور: المصدر السابق، ج7 ، ص 335.

[57]- الطبري: المصدر السابق، ص 259. مكي: المصدر السابق، ج2 ، ص 17. ابن أبي مريم: المصدر السابق، ص 482. المهدوي: المصدر السابق، ص 283.

[58]- سورة البقرة: الآية 253.

[59]- سورة المجادلة: الآية 11.

[60]- الرازي: المصدر السابق، ج13 ، ص 62.

[61]- المصدر نفسه، ص 62.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ممّا سبق يتبيّن أنّ هذه القراءة أفادت أنّ الرّفعَ واقع على أصحابِ الدّرجات، وأنّ الله يرفعُ منهُم من يشاء درجاتٍ كثيرةٍ.

أمّا قراءةُ: ﴿ **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ** ﴾ بغير تنوينٍ، فتُفيد أنّ الرّفع واقعٌ على الدّرجات، «فالدّرجات» مضافةٌ إلى «من» ؛ لأنّ الدّرجاتِ إذا رُفعَت فصاحبُها مرفوعٌ إليها، وهذه القراءة في معنى القراءة الأولى[62].وحجّتهُم قول اليزيدي: ((كقولك نرفع أعمال من نشاء))[63]. فجعلَ الرّفع للأعمال دون الإنسان. وقد روي في التفسير في قوله: ﴿ **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ** ﴾ أي في العلم[64].

قال أبو منصور: ((من قرأ: ﴿ **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ** ﴾ أوقعَ الفعل على «درجات» وحدَها، وهي في موضع النَّصب، وجعل «من» في موضع الخفض؛ إضافة درجاتٍ إليها))[65].

أمّا فيما يخصّ عددُ الدّرجات على هذه القراءة فتدلُّ على الدَّرجة الواحدة والدّرجات الكثيرة. يقولُ أبو عمرو:((الإضافةُ تدلّ على الدّرجة الواحدة وعلى الدّرجات الكثيرة))[66].

نخلصُ ممّا سبقَ أنّ مُرادَ الله من القراءتين هو مَعنى الرّفع ودرجته، ففِي القراءةِ الأولى وقع الرّفع على الإنسانِ وأنّ الدّرجات التي يأخذُها كثيرةٌ، أمّا القراءةُ الثانية فأفادتْ أنّ الرّفعَ وقعَ على الدّرجات ليس على الإنسانِ وأنّ عدَدها من الدَّرجة الواحدة فما فوْق.

وبالتَّالي نخلصُ بعد عرْض معنى القراءتين أنّهُما قراءتان متقاربتان، فكُلّ من رُفعت درجاته فقَد رُفع، ومن رُفع فقدْ رُفعت درجاتُه، فكلاَ القراءتين أفادتا معنيين مقصُودين منَ الآية.

المجالُ الرَّابع: مقاصدُ القصص و أحوال الأمم السابقة

مِن مقاصد القرآن الكريم التعرّفُ على قصصِ الأنبياءِ وأخبارِ الأمَم السَّابقة، لما تختزنُه هذه القصص والأخبار من حقائق ودروسٍ وعبرٍ تستلهِم العُقول، وإنّ من بيْن هذه القِصص ما قصَّه الله علينا في سورة الشعراء عن جوابِ قومِ هودٍ لنبيّهم بعْدما حذَّرهم من العذابِ وبيَّن لهُم معالمَ الحقّ وأسبابَ النَّجاة، فما كان منهُم إلا أن أصرُّوا على عنادِهم وكُفرهم، فساوْا أمورَهم بأمور الأوَّلين عندمَا قالوا: ﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** ﴾[67].

---

[62]– مكي: المصدر السابق، ص 17. ابن أبي مريم: المصدر السابق، ص 482.

[63]– ابن زنجلة: المصدر السابق، ص 259.

[64]– المصدر نفسه، ص 259.

[65]– أبو منصور: المصدر السابق، ص 368.

[66]– الرازي: المصدر السابق ، ص 62.

[67]– سورة الشعراء: الآية 137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اختلفَ القراء في لفظة «خُلق»، فقرأَ ابن عامر وعاصم ونافع وحمزة «خُلق»، وقرأ الباقون «خَلْق»[68]،فهلْ يحمل هذا الاختلاف معانٍ ودلالات يُمكنُ أن نضيفها إلى مقاصد القرآن الكريم ؟

من معانِ قراءة«خُلق»العادةُ أي عادةُ الأوَّلين[69]، والمعنى:«ما هذا الذي نفعله نحن إلا عادة الأوَّلين من قبلنا»[70] وإن بمعنى ما[71].ويرى ابن كثير أنّ معناها الدِّين قال: ((ويعنون دينَهم، وما هم عليه من الأمر هو دين الأوّلين من الآباء والأجداد، ونحن تابعون لهُم))[72].

أمَّا الشيخُ ابن عاشور، ففسَّر «الخلق» في هذه القراءة بالسَّجيَّة والطبائِع، فيشملُ طبائعَ الخير وطبائعَ الشَّر، لذا لا يُعرفُ أحدُ النَّوعين من اللّفظ إلا بقيْد يُضمُّ إليه، وفي الآية لم يُقيِّد هذا الخُلق، فانصرف إلى الخُلق الحسن، وكأنَّ معنى الآية: «أنّ هؤلاء القوم أرادوا مدحًا لما هم عليه من الأحوال التي هي خُلق أسلافهم، وأصرّوا على عدم تغييرها»[73].

ممّا سبقَ يتبيَّن لنا أنّ معاني الآية من خلالِ هذه القراءة «خُلق»هي: عادةُ الأوَّلين أو دِين الأوّلين من الآباء، أو طبائعهم وسجايَاهم.

أمَّا المعَاني والدّلالاَت التي تُفيدها قراءةُ«خَلْق»، فهي الاختلاقُ والكذِب[74]،كأنّهُم قالُوا لهود عليه السَّلام:« ما هذا الذي أتيتنا به إلا كذِبُ الأوّلين وأحاديثهم»[75]،والمعنى الثَّاني لهذه القراءة فهُو مصدرٌ بمعنى الإنشاء والتكوين. بمعنى: «خُلِقنا كخلقهِم، أي نموتُ كما ماتوا فلا نُبعث»، لأنّهم أنكروا البَعث، وهذا ما ذهبَ إليه الزجَّاج عنْدما قال:((خُلقنا كما خُلق من كان قبلنا، نحيى كما حيوا، ونموت كما ماتوا، ولا نُبعث)) [76]، فالخلْق في هذه القراءة: الاختلاقُ والتكوينُ.

وَهكذا يَجتمعُ لدينا من خلالِ القراءتين مجمُوعة من المعاني كلُّها ثابتةٌ في قومِ هود، يُمكِن أن نُضيفها إلى المقصُود من الآية. وهذا كلُّهُ عبَّرتْ عنه لفظةٌ واحدةٌ باختلاِف حركَاتها.

---

[68]– ابن مجاهد: المصدر السابق، ص 472. ابن الباذش: المصدر السابق، ص 716.

[69]– المهدوي: المصدر السابق، ص 449. ابن زنجلة: المصدر السابق، ص 518.

[70]– ابن زنجلة: المصدرنفسه، ص 518.

[71]– ابن أبي مريم: المصدر السابق، ص 945.

[72]– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ – 2001م، ص 452.

[73]– ينظر: ابن عاشور: المصدر السابق، الجزء التاسع عشر، ص 171–172.

[74]– ابن أبي مريم: المصدر السابق، ص 944.

[75]– ابن زنجلة: المصدر السابق، ص 518.

[76]– ابن زنجلة: المصدر نفسه، ص 518. ابن أبي مريم: المصدر السابق، ص 944.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

وفي ختامِ هذا البحْث نَستنتجُ بعض النتائج والحقائق التي توَصّلتُ إليها من خلالِ دراستي له، ويمكنُ إجمالُها في النِّقاطِ التَّالية:

- أهميّةُ المقاصدِ القرآنية في ضوءِ القراءات القرآنية.
- إنَّ المقاصِدَ القرآنيَّة متنوِّعةٌ تنوّعَ القراءات.
- اختلافُ المقاصدِ الواردة في القراءات هو اختلافُ تنوُّع وليس تضاد.
- سِعةُ القراءات القرآنيَّة ومقاصدِها المتعدّدة.
- إنّ الاختلافَ الوارد في القراءات له مَعانٍ ودلالاتٍ يُمكن إضافتها لمقاصدِ القرآن الكريم.
- تنوُّعُ الألفاظ القرآنية هو تنوُّعٌ للمعاني وبالتَّالي هُو تنوُّع للمقاصِد.
- دورُ المقاصدِ القرآنية عند تدبّر القرآن.
- القراءاتُ القرآنيَّة معينٌ لا ينضبُ، وماءٌ عذبٌ يرْتوي منه من أراد الوُقوف على هدايات القرآن.
- على البَاحثين الاهتمامُ ببيانِ المقاصدِ القرآنية في ضوءِ القراءات القرآنية، وإخراجُ هذا التراث للفائدة .

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أولا– كتب القراءات وعلوم القرآن

- **الألوسي**: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **ابن أبي مريم**: الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي، 1408هـ.
- **ابن الباذش**: الإقناع في القراءات السبع، تحقيق : د. عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، دار الفكر دمشق، 1403هـ .
- **ابن الجزري**: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ /1999م.
- **ابن الجزري**: النشر في القراءات العشر، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **ابن زنجلة**: حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ-1997م.
- **ابن عاشور**: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- **ابن كثير**: تفسير القرآن العظيم،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ - 2001م.
- **ابن مجاهد**: السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة، مصر.
- **أبو عمر الداني**: التيسير في القراءات السبع، عني بتصحيحه: اوتورتزل، طبعة ثانية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، سنة 1404هـ-1984م.
- **أبومنصور الأزهري**: معاني القراءات، تحقيق: د.عيد مصطفى درويش ود. عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى، 1412هـ- 1991م.
-**الرازي**: التفسير الكبير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران.
- **الزركشي**: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ-2006م.
- **الزرقاني**: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: د.أحمد المعصراوي، الطبعة الثالثة، دار السلام، مصر،1431هـ-2010م.
- **السيوطي**: الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت 140هـ 1981م.
- **السيوطي**: الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، 1429هـ _ 2008م.
- **الطبري**: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجزء الثاني، دار الفكر، بيروت 1408هـ-1988م.
الفارسي: الحجّة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي و بشير جويجالي، دار المأمون للتراث، دمشق- بيروت.
- **القسطلاني**: لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين، طبعة القاهرة، 1492هـ / 1972م.
- **المهدوي**: شرح الهداية، تحقيق ودراسة: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ.
- **سالم محيسن**: القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة سنة 1406هـ-1986م.
-**محمد رشيد رضا**: تفسير القرآن الحكيم المسمّى تفسير المنار، تحقيق وتعليق: فؤاد سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، مصر.
- **مكي**: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة ، 1428هـ-2007م .
- **مكي**: الإبانة عن معاني القراءات، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **وهبةالزحيلي**: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1411هـ-1991م.

ثانيا– كتب اللغة والمقاصد

- **ابن منظور**: لسان العرب، مادة قرأ، الجزء الثاني عشر، الطبعة الرابعة، دار صادر، بيروت– لبنان، 1426هـ /2005م.

- **الزبيدي**: تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت_ لبنان 1414هـ1994م.

- **ابن عاشور**: مقاصد الشريعة الإسلامية، الطبعة الرابعة، دارالسلام، القاهرة، مصر، 1430هـ -2009م.-

أحمد الريسوني: مقاصد المقاصد، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013م.

- **عبد الكريم حامدي**: مقاصد القرآن من تشريع الأحكام ،الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1429هـ-2008م.

- **محمد الغزالي**: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، طبعة دار الشروق .

-يوسف القرضاوي:دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، الطبعة الثالثة، دار الشروق، مصر، 2007م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com